عصر المعرفة: المفهوم والتحديات

أ.د. إبراهيم بن عبدالله الحميدان

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

عصر المعرفة: المفهوم والتحديات

أ.د. إبراهيم بن عبدالله الحميدان
أستاذ المناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة الملك سعود، والباحث في العلوم الاجتماعية، السعودية
dr.alhomaidan@hotmail.com

قدمت في ٥/ ٥/ ٢٠١٩ م **قبلت للنشر في ١/ ٦/ ٢٠١٩م**

الملخص: تهدف هذه الورقة إلى توضيح موضوع عصر المعرفة، وما يرتبط به من مفاهيم. حيث تتناول الورقة الحالية موضوع عصر المعرفة من حيث المفهوم، والمطالب الرئيسة لإدارة المعرفة وفق المعطيات المعاصرة، والخصائص والتحديات التي تميّز عصر المعرفة عمّا سبق من عصور.

الكلمات الدلالية: عصر المعرفة، مفهوم عصر المعرفة، تحديات عصر المعرفة.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

The Era of knowledge: Concept and challenges

Ibrahim Abdullah Alhomaidan

Professor of Curriculum and Instruction, College of Education, King Saud University, Saudi Arabia.

dr.alhomaidan@hotmail.com

Received in 5 May 2019 **Accepted in 1st June 2019**

Abstract: This paper aims to clarify the subject of the Era of knowledge, and its associated concepts. The paper deals with the Era of knowledge in terms of concept, the main demands of knowledge management according to the contemporary data, and the characteristics and challenges that characterize the Era of knowledge from past ages.

Keywords: The Era of knowledge, Concept of Era of knowledge, the challenges of Era of knowledge.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

مقدمة:

إن الحديث عن موضوع "المعرفة" هو نوع من البحث العميق، والممتد؛ فقد ظل الإنسان منذ بداية الخليقة في حالة تفكير، وتأمل فيما يحيط به من ألغاز، فالمعرفة من حيث مفهومها، وبنائها، وتنظيمها، ووظيفتها ظلت محل اهتمام ودراسة عبر عديد من العصور، فمن الفلسفة التقليدية التي رأت أن المعرفة هي هدف بحد ذاتها، ومن ثمّ لابد أن تكرّس كافّة الجهود لتحقيق هذا الهدف، إلى الفلسفة التقدميّة التي ترى أن المعرفة هي أداة فقط لتحقيق غايات أسمى تتعلق بتعديل السلوك.

كما ظل الحديث والنقاش الفلسفي جائلاً لتحديد مصادر المعرفة، بدءاً بالمعرفة الإلهية، والمعرفة النقليّة، والمعرفة العقلية، والمعرفة الحدسية، والمعرفة الحسيّة، وانتهاءً بالمعرفة التجريبية التطبيقية التي تؤكد أن المعرفة لابد أن تقوم على الممارسة.

ذاك التنظير حول المعرفة شكل عنصراً رئيساً في تأسيس قاعدة صلبة لتطوير أبحاثها، فقديماً كانت المعرفة محدودة ويمكن السيطرة عليها، ولكن في العصر الراهن تغيّرت المعطيات فدخل المجتمع في دهاليز ما يعرف بـ "عصر الانفجار المعرفي" ، حيث أدى هذا الانفجار إلى توجيه الأبحاث نحو المعرفة بشكل أكثر تركيزاً ونقل العالم إلى حالة صراع محموم حولها.

والمتتبع لتاريخ الدول المتطوّرة منذ القرن التاسع عشر وحتى عقد الثمانينيات من القرن الماضي يلحظ أن اقتصادياتها قامت على الموارد الطبيعية، والصناعات التحويلية القائمة عليها، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية تحولت نسبياً إلى الاقتصاد المستند إلى الاستثمار القائم على عوائد منتجات تقنيّة، أو تطوير تقنيات مستوردة.

غير أن تسارع التطورات العلميّة والتقنيّة في العقود الأخيرة وبخاصة منذ ثمانينيات القرن الماضي قد أحدث تحولات جذرية في بُنى اقتصاد الدول المتطورة، فأصبحت المعرفة والابتكار التقني القائمان على البحث العلمي والتطوير هما المحرّك الرئيس لاقتصاد الدول المتقدمة.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

ويبدو عصر المعرفة عصراً مختلفاً، فكنهه ذو طابع خاص، وأبعاده قد تتجاوز حدود المنطق البشري نحو مربعات لم يكن الإنسان يجرؤ على وطئها، حيث أصبح الإنسان أكثر جرأة ولديه استعداد أكبر للمغامرة نحو محاولة الكشف عن أشياء كانت تصنّف أنها ذات خطورة عالية.

وتعد المعرفة أحد العناصر الرئيسة التي تنامت مع نمو الإنسان، وهي من أسباب حفظ جنسه وبقائه، والمعرفة بمعناها المادي تتكون من عنصرين رئيسين: البيانات، والمعلومات؛ فالبيانات هي المادة الخام لإنتاج المعلومات فهي مجرد أرقام ورموز جامدة، أما المعلومات فهي ما يبعث فيها الحياة عبر تحليلها وتفكيكها وتفسيرها وإعادة بنائها، أما المعرفة فهي نتاج كل ذلك عبر الإفادة من المعلومات ووضعها في سياق منطقي منتج، ويتم ضبط كل ذلك عبر معرفة القدرات وتحديد الاتجاهات.

والمعرفة هي تراكم معلوماتي قائم على سياق معين يساعد الفرد على التصرف في وضعية معينة بشكل معين، فالمعرفة بحد ذاتها هي منتج بشري قائم على عمليات عقلية مثل التأمل والملاحظة والممارسة والتجريب.

ومجتمع المعرفة يضم مجموعة من الأفراد لهم اهتمامات مشتركة أو متقاربة، يعملون على ممارسة سلوك بنائي عبر تجميع معرفتهم معاً بشأن اهتماماتهم المشتركة والمجالات التي يهتمون بها، ويقومون بإضافة خبراتهم الخاصة على تلك المعرفة.

وعصر المعرفة وفق برنامج الأمم المتحدة الإنمائي هو: نشر المعرفة وإنتاجها، وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي، والاقتصادي، والمجتمع المدني، والسياسة، والحياة الخاصة وصولاً لترقية الحالة الإنسانية باطّراد، ويتطلب ذلك بناء القدرات البشرية الممكنة والتوزيع الناجح لها على مختلف القطاعات الإنتاجية .

وتعد إدارة المعرفة من المفاهيم العلمية الحديثة التي نمت الدراسات والأبحاث المتعلقة بها كما ونوعا، وذلك لما لهذا المفهوم من أهمية انطلاقا من حقيقة مفادها أن المعرفة المؤسسية تعد من أهم

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

الموارد التي تمتلكها المؤسسة وتمكنها من التواصل بشكل فاعل مع محيطها. لا يوجد إجماع بين الباحثين للوصول إلى تعريف موحد لإدارة المعرفة، فمنهم من ينظر إليها بوصفها عملية تتكون من مجموعة من النشاطات، ومنهم من يعرفها من خلال المقومات الضرورية لنجاح إدارة المعرفة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن استخدام ذات الأدوات القديمة في عصر المعرفة لا يمكن أن يكون منطقياً، فالتفاعل مع هذا العصر، والتعاطي معه يتطلب من الفرد أن يجيّد بعضاً من قناعاته، ويجرؤ على ممارسة التغيير واعتناق سلوك مختلف، وتتمثل المطالب الرئيسة لإدارة المعرفة وفق المعطيات المعاصرة في:

- توافر العنصر أو القوى البشرية المناسبة، فالعنصر البشري يعتبر أهم عناصر إدارة المعرفة، فالأفراد هم المكوّن الرئيس في برنامج إدارة المعرفة ولا يمكن أن يمضي العمل دونهم، وهم المناط بهم ابتكار المعرفة وتحسينها وتطويرها، ووضع خطط الإفادة منها.
- وجود الخطة الاستراتيجية واضحة المعالم محددة الأبعاد، حيث إنها الأداة التي توجّه العمل نحو التنبّه للتهديدات واستغلال الفرص، والكشف عن نقاط القوة والضعف.
- وجود التقنية الحديثة التي تساعد على في عمليات المعرفة، وتعتبر عنصراً مساعداً في كثير من العمليات مثل: أنظمة دعم القرارات، ومعالجة الوثائق، وإدارة الاجتماعات الإلكترونية، والأنظمة الخبيرة، على الرغم من ذلك؛ فالتقنية لا تدير المعرفة بل تدير البيانات فقط.
- وضوح أبعاد العملية، والعملية هي جوهر سلوك إدارة المعرفة ويتم عبرها التخطيط والتطوير، كما أنها المعنية بتوفير المهارات، وتحديد المهام والأدوار.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

ويتميّز عصر المعرفة بمجموعة بخصائص، ومعطيات تجعله مختلفاً عمّا سبق من عصور من أبرزها:

- **ثورة المعلومات**

يرى البعض أن الثورة التقنيّة أصبحت خارج السيطرة، فأصبح العالم يعيش حالة سباق محموم نحو إنتاج المعرفة، بغض النظر عن ماهية هذه المعرفة، وهل هي في صالح البشرية أم لا.

- **التطور الكبير في مجال الاتصالات والتواصل بين المجتمع البشري**

أصبح العالم صغيراً جداً بسبب سهولة الاتصال بين أطرافه مهما بعدت المسافات الجغرافية، فمع التطوّر المهول في أدوات التواصل بين أفراد المجتمع، أصبح الاتصال مع الجهات النظيرة أسهل وأسرع.

- **تحدي المنافسة**

يوفر تقرير التنافسية العالمي معلومات وتحليلات شاملة وذات موثوقية تجعل منه أداة مهمة لصانعي القرار في مختلف دول العالم عند رسم السياسات الاقتصادية في مختلف الميادين، خاصة في الدول التي تسعى لرفع مستوى الكفاءة والإنتاجية، حيث يفترض التقرير أن الاقتصاد الذي يتمتع بتنافسية عالية يكون قادراً على توليد دخل كلي أعلى لمواطني تلك الدولة، وأن الدولة ذات الاقتصاد الأكثر تنافسية ستكون مرشحة لأن يكون النمو الاقتصادي فيها ذا وتيرة متسارعة أكثر من مثيلاتها من الدول الأقل تنافسية.

- **تداخل العموميات، والخصوصيات، والبدائل**

تمثل العموميات، والخصوصيات، والبدائل العناصر الرئيسة للثقافة، حيث ظلّت الحواجز بينها واضحة لفترات طويلة، إلا أنه في عصر المعرفة ومع تنامي الثورة المعلوماتية أصبحت الحدود تضمحل قليلاً سواء على مستوى المنطقة الصغيرة أو على مستوى مساحات شاسعة، وهذا الأمر من

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

شأنه أن يساعد في نقل المعرفة وتداولها، ويجعل من عمليات تحييد التباينات الثقافية ومقاومة العادات والتقليد أسهل وأيسر.

- **تحدي العولمة**

أكدت توصيات ندوة العولمة وأولويات التربية التي عقدت في جامعة الملك سعود ٢٠٠٤ أن العولمة واقع لا يجدي معه أسلوب الرفض التام، فهي تيار بدأ بالمجال الاقتصادي وامتد إلى مجالات أخرى منها المجال السياسي والثقافي، وهي واقع يعد حقيقة ماثلة أمامنا لا مجال لإنكارها، كما أكدت أدوار المؤسسات التعليمية في مجابهة تحديات العولمة، وأن تتبنى برامج تثير التفكير لدى الطالب، وأكدت أيضًا الدور الفاعل للشبكة العالمية للمعلومات لتوفير المعلومات المختلفة للمتعلمين والباحثين لغرض تعزيز التعليم والتعلم، وهي المعلومات التي تسهم في خلق الأفراد المبدعين القادرين على الابتكار في المجالات المختلفة، ودعت الندوة إلى تطبيق التعليم الشامل في المنهج التربوي، وهو نمط من الإصلاح التعليمي يهدف إلى أن يبث في داخل المقررات الدراسية نفسها منظوراً عالمياً في التربية لمواجهة الظواهر السلبية في العالم، وذلك بوصفها استراتيجية تربوية في مواجهة تأثيرات العولمة في العصر الحديث، وبينت أن التربية هي خط المواجهة الأول لتفادي آثار العولمة والإفادة منها.

ويتضح بعد خمسة عشر عاماً من انعقاد الندوة أن توصياتها كانت تذهب في الاتجاه الصحيح، وأن جل ما تقوم به المؤسسات التعليمية في وقتنا الراهن، كان من المفترض البدء به قبل سنوات طوال.

- **تحدي الجودة**

تأسس المركز الإقليمي للجودة والتميز في التعليم عام ٢٠١٤ تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) وبموجب الاتفاقية المبرمة بين المملكة العربية السعودية وبين منظمة اليونسكو في هذا الشأن. ويأتي إشراف المملكة على هذه المركز انطلاقا من دعمها لرسالة المنظمة الإنسانية التي لا تتوقف لتعزيز كل ما هو إيجابي في حياة الشعوب، وتأكيدًا لالتزاماتها المحلية

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

والإقليمية والدولية تجاه توفير حق التعليم للجميع وجودته وتميز مخرجاته بوصفه أحد أهم مرتكزات التنمية المستدامة.

ورغم ما حققه المركز من أهداف خلال الفترة المحددة، فإنه بوصفه جهة مرجعية للجودة في العالم العربي عموماً، وللملكة العربية السعودية على وجه الخصوص بحكم أنها المشرفة والمستضيفة، إلا أن الجودة في العالم العربي ومنها السعودية لا زالت داخل إطار الجودة الورقية، وهذا مما زاد الهوة بين التعليم الوزاري، والتعليم الميداني، فالجودة لا يمكن أن تنجح ما لم تتفاعل مع الميدان بشكل مباشر، على أن يستوعبها الجميع ويتبناها ويجعل منها إطارا عملٍ واضح يدركه الجميع وليس فقط من يحدد الأطر النظرية لها.

- **تحدي التقنية**

من الأخطاء الشائعة لدى بعض من لا يمتلكون الخلفية التربوية والعلمية الكافية أن إغراق المنهج بوسائل التقنية هو أقصر الطرق والرهان الأمثل لتحقيق قفزة نوعية بالتعليم، متناسين أن التقنية ما هي إلا عنصر مساعد لتحقيق أهداف أسمى من الحصول على المهارات الدنيا.

فمنذ أن بدا المشروع الشامل لتطوير مناهج التعليم الأساسي في المملكة العربية السعودية، الذي تمثّلت رؤيته في: توفير مناهج تربوية تعليمية متكاملة ومتوازنة ومرنة ومتطورة، تلبي حاجات الطلاب اللازمة للحياة والتعلم، ومتطلبات خطط التنمية الوطنية، وتستوعب المتغيرات المحلية والعالمية، وترسخ القيم والمبادئ الإسلامية السامية وروح الولاء للوطن وتؤكد الوسطية والاعتدال. كان أكثر عنصر يُستهدف في عمليات التطوير هو العنصر (التقني)، وهو العنصر الذي غالباً ما يحوز على النصيب الأكبر من ميزانية المشروع، إلا أن ذلك لم ينعكس على الوزن والتأثير التنموي الذي يُفترض أن يُحدثه المشروع، ويعود ذلك في الدرجة الأولى إلى أن مخطط أو خبير المنهج في المشروع غالباً ما يتجه نحو شراء التقنية، ودفع مبالغ طائلة في مشاريع وقتية تُستهلك في فترة وجيزة مع عائد ضعيف، ولم يفكر بتغيير استراتيجياته والتوجه يوماً نحو إنتاج التقنية أو إنتاج المعرفة، فلو صرفت

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3

المبالغ التي ذهبت لشراء أجهزة نحو مشاريع تُعنى بإنتاج المعرفة والتقنية، لكان حجم تأثير المشروع أكثر بكثير مما هو عليه.

- **التحديات الفكرية**

أصدرت وزارة التعليم في العام ٢٠١٥ قراراً بتأسيس إدارة للأمن الفكري التي تُعنى بقضايا الأمن الفكري في المملكة العربية السعودية في قطاع التعليم، وتم تجديد ذلك في العام ٢٠١٧ عبر إصدار قرارا بإنشاء مركز الوعي الفكري في الوزارة، ويأتي القرار تنفيذاً للأوامر السامية الكريمة، وبناءً على توصيات اللجنة المشكلة لدراسة التوعية الفكرية بمؤسسات التعليم العام والعالي، وحاجة الوزارة لتنظيم العمل الفكري داخلها، ورفع فاعليته. ويعتبر ذلك من القرارات الجيدة للوزارة، فمع الانفتاح الكبير في عصر المعرفة قد تتداخل القيم عند الطالب مما يجعله عرضةً لبعض حالات الأدلجة.

وفي المقابل لابد أن يتماشى المركز مع مطالب عصر المعرفة، وتتطوّر أهدافه من مجرّد التركيز على الحالات الفكرية العقدية، إلى المشاركة في تأسيس الطالب المتكامل فكرياً وعقلياً؛ الطالب القادر على اتخاذ القرارات المناسبة، الذي يمتلك قدرة تفكيرية عالية، تجعله قادراً على التمييز بين الحالات المتشابهة، وهذا يتطلّب أن يتبنى المركز التوجّه نحو التغيير في الفلسفة التدريسية لتتوافق مع العصر الراهن، فمطالب التدريس في عصر التحديات الفكرية سوف تتغير، ومن ثم يتغيّر السلوك التدريسي برمته ليتّسق مع عصر المعرفة.

خاتمة

تناولت الورقة مفهوم عصر المعرفة، والمطالب الرئيسة لإدارة المعرفة وفق المعطيات المعاصرة، وخصائص وتحديات عصر المعرفة وأهمها ثورة المعلومات، التطور الكبير في مجال الاتصالات والتواصل بين المجتمع البشري، تحدي المنافسة، تداخل العموميات، والخصوصيات، والبدائل، تحدي العولمة، تحدي الجودة، تحدي التقنية، التحديات الفكرية. بما يمهد لفهم واضح عن عصر المعرفة وتحدياته.

http://dx.doi.org/10.29009/ijres.2.3.3